(٢٠٣)

(صَالحُ بن مُحمَّد بن عبد اللَّه العَنْسيّ ثم الصَّنعاني)

ولد تقريباً على رأس القرن الثاني عشر، وأخذ العلم عن جماعة من أهل العلم، واستفاد لا سيّما في علم الحديث ورجاله، فإنه قوي الفائدة فيه، جيد الإدراك له. وهو من صالحي الفتيان ونجباء شبّان الزمان، وله قراءة عليَّ في الصحيحين، وسنن أبي داود، وفي بعض مؤلفاتي.

(٢٠٤)

(صَالحُ بن مُحمَّد بن قَلاوُن)[١]

ولد سنة ٧٢٨ ثمانٍ وعشرين وسبعمائة، وولي السلطنة بعد خلع الناصر حَسَن في جمادى الآخرة سنة (٧٥٢)، ولكنه لا تَصرُّف له وإنما التصرف للأمراء. ثم خُلِع عن السلطنة في شهر شوَّال سنة (٧٥٥). وكان قوي الذكاء يعرف عدة صناعات. وحبس بعد خلعه بالقلعة عند أمِّه إلى أن (مات) في صفر سنة ٧٦٢[٢] اثنتين وستين وسبعمائة. ومن مآثره الحسنة الوقف الذي وقفه بالديار المصرية على كسوة الكعبة.

(٢٠٥)

(صَالح بن مَهْدي بن عليّ بن عبد اللَّه بن سُليمان ابن مُحمَّد بن عبد اللَّه بن سُليمان بن أسعد بن مَنْصور المقبلي ثم الصَّنعاني ثم المكِّي)[٣]

ولد في سنة ١٠٤٧ سبع وأربعين وألف في قرية المقبل من أعمال بلاد كوكبان، وأخذ العلم عن جماعة من أكابر علماء اليمن، منهم السيد العلَّامة مُحمَّد بن إبراهيم بن المفضل؛ كان ينزل للقراءة عليه من مدينة ثلا إلى شبام كل يوم وبه تخرَّج وانتفع. ثم دخل بعد ذلك صنعاء وجرت بينه وبين علمائها مناظرات أوجبت المنافرة لما فيه من الحدَّة والتصميم على ما تقتضيه الأدلة وعدم الالتفات إلى التقليد. ثم

---

(١) ترجمته في: الأعلام: ٣/ ١٩٥؛ بدائع الزهور: ١/ ١٩٤؛ النجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٥٤؛ الدرر الكامنة: ٢/ ٢٠٣؛ البداية والنهاية: ١٤/ ٢٨٨.

(٢) في الأعلام: توفي سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م.

(٣) ترجمته في: الأعلام: ٣/ ١٩٧؛ نبلاء اليمن: ١/ ٧٨١؛ وفيه: ولد سنة ١٠٤٠هـ؛ معجم المؤلفين: ٥/ ١٤؛ إيضاح المكنون: ٢/ ١١٨.

ارتحل إلى مكَّة ووقعت له امتحانات هنالك واستقرَّ بها حتى (مات) في سنة ١١٠٨ ثمانٍ وإحدى عشرة مائة. كتبت مولده فيما علق بذهني من كتبه فإنه ذكر فيها ما يفيد ذلك، هو مِمَّن برع في جميع علوم الكتاب والسنّة، وحقّق الأصلين والعربية والمعاني والبيان والحديث والتفسير، وفاق في جميع ذلك. وله مؤلفات مقبولة كلّها عند العلماء محبوبة إليهم متنافسون فيها ويحتجون بترجيحاته وهو حقيق بذلك. وفي عباراته قوة وفصاحة وسلاسة تعشقها الأسماع، وتلتذ بها القلوب. ولكلامه وقع في الأذهان قلّ أن يمعن في مطالعته من له فهم فيبقى على التقليد بعد ذلك. وإذا رأى كلاماً متهافتاً زيَّفه ومزَّقه بعبارة عذبة حلوة. وقد أكثر الحطّ على المعتزلة في بعض المسائل الكلامية، وعلى الأشعرية في بعض آخر، وعلى الصوفية في غالب مسائلهم، وعلى الفقهاء في كثير من تفريعاتهم، وعلى المحدثين في بعض غُلوّهم، ولا يبالي إذا تمسَّك بالدليل بمن يخالفه كائناً من كان. فمن مؤلفاته الفائقة حاشية (البحر الزخار) للإمام المهدي المسماة بالمنار، سلك فيها مسلك الإنصاف. ومع ذلك فهو بَشَرٌ يُخطئ ويُصيب، ولكن قد قيّد نفسه بالدليل لا بالقال والقيل، ومن كان كذلك فهو المجتهد الذي إذا أصاب كان له أجران وإن أخطأ كان له أجر. ومنها (العلم الشامخ) اعترض فيه على علماء الكلام والصوفية. ومنها في الأصول (نجاح الطالب على مختصر ابن الحاجب) جعله حاشية عليه ذكر فيها ما يختاره من المسائل الأصولية. ومنها في التفسير (الإتحاف لطلبة الكشاف) انتقد فيه على الزَّمشخري كثيراً من المباحث، وذكر ما هو الراجح لديه. ومنها (الأرواح النوافخ) و(الأبحاث المسددة) جمع فيه مباحث تفسيرية وحديثية وفقهية وأصولية. ولما وقفت عليه في أيام الطلب كتبت فيه أبياتاً وأشرت فيها إلى سائر مؤلفاته وهي: [من الكامل]

لـلَّـه دَرُّ الـمُـقـبـلـيّ فـإنَّـهُ بَـحْـرٌ خِـضَـمٌ دانَ بـالإنـصـافِ[1]
أبـحـاثُـه قَـدْ سَـدَّدتْ سَـهْـمـاً إلـى نَـحْـرِ الـتَّـعـصُّـبِ مُـرْهَـف الأطـرافِ[2]
وَمَـنـارُهُ عـلـمُ الـنـجـاحِ لِـطـالـبٍ مُـذْ رَوَّحَ الأرواحَ بـالإتـحـافِ[3]

وقد كان ألزم نفسه السلوك مسلك الصحابة وعدم التعويل على تقليد أهل العلم في جميع الفنون. ولما سكن مكة وقف عالمها البرزنجي مُحمَّد بن عبد الرسول المدني على (العلم الشامخ في الرد على الآباء والمشايخ) فكتب عليه اعتراضات، فردَّ عليه بمؤلف سماه (الأرواح النوافخ) فكان ذلك سبب الإنكار عليه من علماء مكة ونسبوه إلى الزندقة بسبب عدم التقليد والاعتراض على أسلافهم، ثم رفعوا الأمر إلى

(١) بحرٌ خِضَمٌّ: واسع. (٢) المرهف: الرقيق، الدقيق، الحادُّ.
(٣) رَوَّحَ الأرواح: أراحها. الإتحاف: من أتحفه: أعطاه تُحْفَةً: طُرْفَة.

سلطان الروم فأرسل بعض علماء حضرته لاختباره فلم يَرَ منه إلَّا الجميل وسلك مسلكه، وأخذ عنه بعض أهل داغستان، ونقلوا بعض مؤلفاته.

وقد وصل بعض العلماء من تلك الجهة إلى صنعاء، وكان له معرفة بأنواع من العلم فلقيته بمدرسة الإمام شرف الدين بصنعاء فسألته عن سبب ارتحاله من دياره هل هو قضاء فريضة الحجّ، فقال لي بلسانٍ في غاية الفصاحة والطلاقة أنه لم يكن مستطيعاً وإنما خرج لطلب (البحر الزخار) للإمام المهدي أحمد بن يَحْيَى، لأن لديهم حاشية المنار للمقبلي. وقد ولع بمباحثها أعيان علماء جهاتهم داغستان، وهي خلف الروم بشهر حسبما أخبرني بذلك، قال: وفي حال مطالعتهم واشتغالهم بتلك الحاشية يلتبس عليهم بعض أبحاثها لكونها معلقة على الكتاب الذي هي حاشية له، وهو «البحر»، فتجرد المذكور لطلب نسخة «البحر»، ووصل إلى مكة فسأل عنه فلم يظفر بخبره عند أحد، فلقي هنالك السيد العلَّامة إبراهيم بن مُحمَّد بن إسماعيل الأمير فَعرَّفه أن كتاب «البحر» موجود في صنعاء عند كثير من علمائها قال: فوصلت إلى هنا لذلك. ورأيته في اليوم الثاني وهو مُكِبٌّ في المدرسة على نسخة من «البحر» يُطالعها مطالعة من له كمال رغبة، وقد سُرَّ بذلك غاية السرور. وما رأيت مثله في حسن التعبير واستعمال خالص اللغة وتحاشي اللحن في مخاطبته وحسن النغمة عند الكلام، فإني أدركت لسماع كلامه من الطرب والنشاط ما علاني معه قشعريرة، ولكنه رحمه اللَّه مات بعد وصوله إلى صنعاء بمدة يسيرة، ولم يكتب اللَّه له الرجوع بالكتاب المطلوب إلى وطنه.

والمترجم له، مع اتساع دائرته في العلوم، ليس له التفات إلى اصطلاحات المحدثين في الحديث، ولكنه يعمل بما حصل له عنده ظنّ صحته كما هو المعتبر عند أهل الأصول مع أنه لا ينقل الأحاديث إلَّا من كتبها المعتبرة، كالأُمّهات وما يلتحق بها. وإذا وجد الحديث قد خرج من طرق وإنْ كان فيها من الوَهن ما لا ينتهض معه للاحتجاج ولا يبلغ به إلى رتبة الحسن لغيره عمل به. وكذلك يعمل بما كانت له علل خفيفة فينبغي للطالب أن يتثبت في مثل هذه المواطن. وقد ذكر في مؤلفاته من أشعاره ولكنها سافلة بخلاف نثره فإنه في الذروة. ومن أحسن شعره أبياته التي يقول فيها: [من مجزوء الكامل]

قَبَحَ الإلهُ مُفرِّقاً بَيْنَ القَرابةِ والصَّحابةْ

وقد أجاب عليه بعض جارودية[1] اليمن بجواب، أقذع فيه وأوله: [من مجزوء الكامل]

أطْرِقْ كراً يا مُقبلي فَلأنتَ أَحْقَرُ مِنْ ذُبابَةْ

(١) الجارودية: فرقة من الشيعة الزيدية، تُنسب إلى أبي الجارود زياد بن المنذر الهمذاني.

ثم هجاه بعض الجارودية فقال: [من مجزوء الرجز]

الـــمُـــقـــبـــلـــي نَـــاصِـــبـــي أعْـــمَـــى الـــشَّـــقـــاءُ بَـــصَـــرَهْ

وبعده بيت أقذع فيه، وهكذا شأن غالب أهل اليمن مع علمائهم. ولعل ذلك لما يريده اللَّه لهم من توفير الأجر الأخروي. وكان ينكر ما يدعيه الصوفية من الكشف فمرضت ابنته زينب في بيته من مكة، وكان ملاصقاً للحرم، فكانت تخبره وهي من وراء جدار بما فعل في الحرم. وكان يغلق عليها مراراً وتذكر أنها تشاهد كذا وكذا فيخرج إلى الحرم فيجد ما قالت حقاً. وذكر رحمه اللَّه في بعض مؤلفاته أنه أخذ في مكة على الشيخ إبراهيم الكُرْدي المتقدم ذكره.

(٢٠٦)

(صِدِّيقُ بن رَسام بن نَاصِر السَّوادي الصَّعديّ)[1]

قرأ على الشيخ لُطْف اللَّه بن مُحمَّد الغياث في علم الآلة، وفاق فيه الأقران، وصار بعد شيخه المرجوع إليه في ذلك الفن، وأخذ عنه جماعة من النبلاء وتميزوا في حياته. ورحل بعد موت شيخه لُطْف اللَّه، وهو من مشاهير العلماء وأكابر النبلاء، وله خلف صالح فيهم العلماء والفضلاء والنبلاء. واتصل في آخر أيامه بالإمام المتوكل على اللَّه إسماعيل بن القَاسِم فولَّاه القضاء في بلاد خَوْلَان الشام بمغارب صَعْدَة. ولم يزل على ذلك حتى توفَّاه اللَّه. وله حواشٍ على كتب النحو والصرف مفيدة منقولة في كتب أهل صعدة. وكان موته في سنة ١٠٧٩ تسعٍ وسبعين وألف.

(٢٠٧)

(صِدِّيق بن عليّ المِزْجَاجي الزَّبيدي الحَنفي)

ولد تقريباً سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف، وقرأ في زبيد على الشيخ مُحمَّد بن علاء الدين صحيح البخاري، وسنن أبي داود، وغيرهما من الأمهات. وقرأ على السيد سُليمان بن يَحْيَى المتقدم الأمهات كلها سماعاً مكرراً. وله قراءة في الآلات. وهو محقق في فقه الحنفية، وقد أجاز له شيخاه المذكوران إجازة عامة بجميع ما يجوز لهما روايته. وانتقل إلى المخا للتدريس هنالك، وبقي أياماً، ثم وصل إلى صنعاء في شهر ذي القعدة سنة (١٢٠٣)، ووصل إليّ ولم أكن قد عرفته قبل ذلك ولا عرفني، وجرت بيني وبينه مذاكرات في عدة فنون. ثم خطر ببالي أن أطلب منه

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٥/ ١٩.